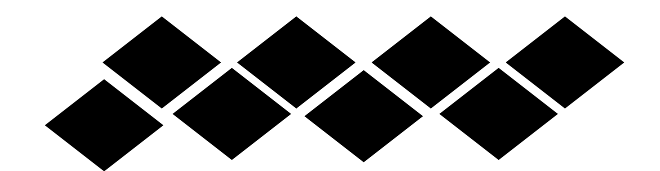


مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الفيل فى الوجدان العربى

د. درية محمد مغربى محمد مكى

مدرس بقسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

أستاذ مساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الباحة

DOI: 10.21608/qarts.2024.259296.1849

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٣) العدد (٦٢) يناير ٢٠٢٤

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الفيل فى الوجدان العربى

الملخص:

يتناول هذا البحث موضوعًا بعنوان "الفيل فى الوجدان العربى" ، وهو يرصد العلاقة بين الإنسان وأحد الحيوانات الضخمة، التى شاهدها الإنسان العربى وانبهر بها، ونسج حولها العديد من الأفكار والمعتقدات، والأساطير فى بعض الأحيان .

وقد ضمت كتب التراث العربى قدرًا لا يستهان به من هذه الأخبار والروايات التى وردت عن الفيل، فجاء التمهيد يضم عدة نقاط حول التعريف به، وأهم ما يميزه ومقتطفات عن مكانته عند الأمم الأخرى .

ثم انتقل البحث إلى عرض قضايا متعددة حول الفيل فى الأدب العربى، جاء أولها عن الفيل فى الأساطير العربية، وهى الأخبار والروايات التى وردت عن العرب وحملت طابعا عجائبيا لا يمثل الحقيقة، ولكنه كان مترسخًا فى أذهان العرب ووجدانهم.

ومن هنا انتقلت إلى القضية التالية، وهى عن ورود ذكر الفيل فى أشعار العرب، وهو قدر لا بأس به استطعت جمعه من أمهات كتب التراث ، سواء تحدث عن الفيل بشكل مباشر، أو أشار إليه فى معرض الحديث عن أمور أخرى. ثم تناولت مكانة الفيل فى عالم الأحلام وتفسيراته المختلفة التى أوردها علماء التعبير .

ثم انتقلت إلى النوادر والحكايات الشعبية التى ورد ذكره فيها، ثم الأمثال العربية التى استعانت به، وهو فى كل هذه المباحث كان محصورًا فى إطار زوايا معينة – فى أغلب الأحيان – تركز على حجمه ووزنه ونهمه وقوته . وأخيرا ناقشت قضية حكم أكله فى الشريعة الإسلامية والانتفاع بأنيابه وعظمه وجلده وما إلى ذلك .

الكلمات المفتاحية : الفيل ، التراث ، الحيوان ، الأسطورة ، الحكايات الشعبية .

مقدمة

الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه، أحمده على إحسانه، وأشكره على توفيقه وامتنانه، أسبغ عليّ نعمه ظاهرة وباطنة، فالحمد لك يا ربى حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف الخلق أجمعين وخاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين. أما بعد ..

فإن من يسبر أغوار تراثنا الأدبى الزاخر الذى وصلنا من أجدادنا منذ العصر الجاهلى يخرج منه بالعديد من الدراسات القيمة، فلا يزال هناك الكثير من الموضوعات المتميزة التى تنتظر من يخرجها إلى النور، ويثرى بها رفوف مكتبتنا العربية .

ولعل هذا البحث بعنوان : "الفيل فى الوجدان العربى" أحد تلك الموضوعات التى لم يتم دراستها بشكل كاف؛ فهو يدرس ذلك الحيوان المعروف : كيف نظر العرب إليه، وماذا رأوا فيه، وما معتقداتهم بخصوصه ..

أسباب اختيار الموضوع :

سبب اختيارى للموضوع هو رغبتى فى دراسة أحد الموضوعات المهمة فى الأدب العربى، ألا وهو تناول الحيوانات من منظور أدبى فى شتى مجالات الفكر والإبداع الإنسانى العربى.

الدراسات السابقة :

لم أقف على دراسات ذات صلة وثيقة بالموضوع المدروس هنا، وهو "الفيل فى الوجدان العربى"، ولكننى اطلعت على العديد من الدراسات التى تتحدث عن الحيوانات فى الأدب العربى بصفة عامة، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١- الحيوان فى الأدب العربى، شاكر هادى شكر ،مكتبة النهضة العربية.
٢- قصص الحيوان فى الأدب العربى ،عبد الرازق حميدة ، مكتبة الأنجلو المصرية.
٣- قصص الحيوان فى الأدب العربى القديم،تقديم وجمع / د. داود سلوم،عالم الكتب.
٤- قصص الحيوان فى القرآن ،أحمد بهجت ،دار الشروق .
٥- بحث بعنوان : قصص الحيوان فى أدب العراق القديم د. جعفر صادق محمد كلية العلوم والآداب – جامعة بنى وليد – ليبيا،مجلة البقاء للبحوث والدراسات ،المجلد ٩ العدد ٢ .
٦- بحث بعنوان: السرد القصصى على لسان الحيوان فى كتاب النمر والثعلب،لسهل بن هارون (دراسة تحليلية) ،د. أحمد عبد الكريم الملقى، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان – الأردن، العدد الخامس والثلاثون .

منهج البحث :

اعتمدت فى بحثى هذا على المنهج الوصفى الاستقرائى التحليلى؛ كونه أكثر المناهج مناسبة لطبيعة هذا البحث .

خطة البحث :

انتظم البحث فى مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة .

المبحث الأول : الفيل فى أساطير العرب .

المبحث الثانى : الفيل فى أشعار العرب .

المبحث الثالث : الفيل فى تفسير الأحلام .

المبحث الرابع : الفيل فى النوادر والحكايات الشعبية .

المبحث الخامس : الفيل فى أمثال العرب .

البحث السادس : حكم أكله والانتفاع به .

وذُيِّل البحث بخاتمة تتضمن أهم النتائج التى توصل إليها البحث مع بعض التوصيات، ثم اختتم بقائمة من المصادر والمراجع التى استفاد منها البحث.

أهم الصعوبات التى واجهتنى :

وقد كانت أهم العقبات التى وجدتها فى البحث هى ندرة الأخبار والأشعار والروايات التى وردت عن الفيل فى كتب التراث العربى، وتطلب استخراجها وتصنيفها الكثير من الوقت والجهد.

وفى الختام .. أسأل الله أن ينفع بهذا العمل وأن يدخر لى منه ذخرا أجده أمامى يوم يقوم الناس لرب العالمين . ولا يسعنى إلا أن أحمد الله تعالى على ما وفق وأعان؛ فما هذا إلا جهد المقل .. لا أدعى فيه الكمال، ولكن عذرى أننى بذلت فيه قصارى جهدى ، فإن أصبت .. فذاك مرادى، وهو من رحمة الله وتوفيقه وسداده ، آملة أن ينال القبول ويلقى الاستحسان، وإن أخطأت .. فلى شرف المحاولة والتعلم وحسبى أجر الاجتهاد ونية الإصلاح، والحمد لله فى هذه وفى تلك، واللهَ أسأل أن ينفعنى وإياكم بما علمنا، وأن يعلمنا ما ينفعنا .. سبحانه إليه مآل الأمور، وعنده لا يضيع أجر العاملين.

التمهيد

هل هو من نسل آدمى ملعون ؟؟ أم هو مَلِك مُسخ لسوء خلقه ؟؟ أم أنه أبو الخنزير ؟؟؟

أورد ابن منظور فى معجمه (لسان العرب) تعريفا بالفيل فقال : " الفِيل: مَعْرُوفٌ، وَالْجَمْعُ أَفْيال وفُيُول وفِيَلة؛ قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: وَلَا تَقُلْ أَفْيِلة، والأُنثى، فِيلة، وَصَاحِبُهَا فَيَّال . قَالَ سِيبَوَيْهِ: يَجُوزُ أَن يَكُونَ أَصل فِيل فُعْلًا فَكَسَرَ مِنْ أَجل الْيَاءِ كَمَا قَالُوا أَبيض وبِيض؛ قَالَ الأَخفش: هَذَا لَا يَكُونُ فِي الْوَاحِدِ إِنما يَكُونُ فِي الْجَمْعِ؛ وَقَالَ ابْنُ سِيدَهْ: قَالَ سِيبَوَيْهِ يَجُوزُ أَن يَكُونَ فِيل فِعْلًا وفُعْلًا فَيَكُونُ أَفْيال، إِذا كَانَ فُعْلًا، بِمَنْزِلَةِ الأَجناد والأَجْحار، وَيَكُونُ الفُيُول بِمَنْزِلَةِ الخِرَجَة ، يَعْنِي جَمْعَ خُرْج. وَلَيْلَةٌ مِثْلُ لَوْنِ الفِيل أَي سَوْداء لَا يُهْتَدَى لَهَا، وأَلوان الفِيَلة كَذَلِكَ. واسْتَفْيَل الجملُ: صَارَ كالفِيل؛ حَكَاهُ ابْنُ جِنِّيٍّ فِي بَابِ اسْتَحْوذ وأَخواته " . [1]

وقال عنه القزوينى : " هو حيوان ظريف بهى نبيل من أعظم الحيوانات، وربما كان فى فمها ثلاثمائة سن، وهو أظرف وألطف من كل حيوان خفيف الجسم رشيق، صنع الله فى خلقته عجائب قدرته، وهو أن رقبته لما كانت قصيرة خلق الله لها خرطومًا طويلاً يقوم مقامها يرفع العلف والماء إلى فمه بها، وتدور على جميع بدنه كما تدور يد الإنسان، ويضرب بها وله أذنان كبيرتان " . [2]

---

[1] لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ ،ج ١١، ص ٥٣٤ .

[2] عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات لزكريا بن محمد بن محمود الكوفى القزوينى مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م ،ص ٣٢٨.

وهو " دابة عظيمة يعتلق بخرطومه وناباه قرناه، وتسمى أنثاه العيثوم ". [١]

" والعاج : أنياب الفيل، ولا يسمى غير الناب عاجًا .

والفرطوسة، والفرطيسة : خطم الفيل " . [٢]

لقد كان للفيل وزن ثقيل فى الوجدان العربى منذ القدم رغم عدم انتشاره فى شبه الجزيرة العربية إلا أنهم ومنذ الجاهلية قد عرفوه – أو عرفه بعضهم – وإن كانوا قد سمعوا عنه فإنهم لم يروه جميعا؛ ولذلك ضرب الله مثلا للعرب على عظمة خلقه بالإبل، فقال : "أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ" [٣] لأن العرب لم يكونوا قد رأوا الفيل، وإنما ذكر لهم ما أبصروا، ولو أنه قال: أفلا ينظرون إلى الفيلة كيف خلقت لم يتعجبوا لها؛ لأنهم لم يروها " [٤] " وسئل الحسن عن هذه الآية، وقيل له: الفيل أعظم فى الأعجوبة. فقال: أما الفيل فالعرب بعيدة العهد به " . [٥]

---

[١] درج الدرر فى تفسير الآى والسور، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى ت ٤٧١ هـ،تحقيق : وليد بن أحمد بن صالح الحسين (وشاركه فى بقية الأجزاء) : إياد عبد اللطيف القيسى مجلة الحكمة – بريطانيا ،الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م،ج ٤، ص ١٧٦٤ .

[٢] الحيوان فى الأدب العربى،شاكر هادى شكر ،الطبعة الأولى ١٩٨٥ م ، بيروت – المزرعة ، ج ٣ ص ١٠٧ .

[٣] سورة الغاشية،آية ١٧

[٤] تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الزدى البلخى، ت ١٥٠ هـ المحقق : عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التراث – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ، ج ٤، ص ٦٧٩ .

[٥] الوسيط فى تفسير القرآن المجيد،أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الواحدى النيسابورى الشافعى ت ٤٦٨ هـ ،تحقيق وتعليق / عادل أحمد عبد الموجود – على محمد معوض – د. أحمد محمد صيرة – د. أحمد عبد الغنى الجمل – د. عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ،الطبعة الأولى ١٩٩٤ م، ج ٤ ،ص ٤٧٦ .

ويعيش الفيل فى المناطق الأكثر استوائية مثل جنوب آسيا وأفريقيا ، ولكنه كان يعرف لدى العرب من خلال التجارة والتواصل مع الثقافات الأخرى .

" ومما يحكي التجار المسافرون إلى الهند عن ولادة الفيلة أن الإناث منها تلد أولادها في المياه الراكدة فتخرج أولادها عند الوضع فتسقط في الماء، فتسرع الأمهات إليها فتقيمها في الماء على سوقها، وتخرجها عنه وتديم لعقها إلى أن تجف، وتستدرجها مشيا إلى أن يكمل خلقها فتبارك الله أحسن الخالقين.

ولا يدرى فيما خلق الله من البهائم ذوات الأربع أفهم من الفيل ولا أقبل منه للتعليم، ومن خواص الفيل أنه لا ينظر في عورة الإنسان.

وملوك الهند تتنافس في اكتساب الفيلة، وتتغالى في أثمانها وتنظر الملوك إليها بعين المحافظة عليها وتجلب إلى مرابطها عندهم صغارا فتنشأ على التأنس بالناس." (١)

" والفيلة ضربان: فيل وزندبيل، وهما كالبخاتي والعراب والجواميس والبقر والخيل والبراذين والجرذ والفأر والنمل والذر، وبعضهم يقول: الفيل الذكر، والزندبيل الأنثى، وهذا النوع لا يلاقح إلا في بلاده ومعادنه ومغارس أعراقه، وإن صار أهليا. وهو إذا اغتلم أشبه الجمل في ترك الماء والعلف حتى يتورم رأسه، ولم يكن لسواسه إلا الهرب منه، وربما جهل جهلا شديدا، والذكر ينزو إذا مضى له من العمر خمس سنين، وزمان نزوه الربيع، والأنثى تحمل سنتين، وإذا حملت لا يقربها الذكر ولا يمسها ولا ينزو عليها إذا وضعت إلا بعد ثلاث سنين " . (٢)

---

١ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي ت ٥٦٠ هـ ،عالم الكتب – بيروت ،الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ،ج١ ،ص ٢٠١.

٢ الحيوان لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى٢٥٥هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ ،ج ٢ ، ص ٣٠٩ .

وقد اختلف العرب فى تحديد مدة حمل الفيل وقد تم تحديدها علميا فى فترة تتراوح بين ١٨ إلى ٢٢ شهرًا ، ويعد حمل الفيل من أطول فترات الحمل عند الحيوانات البرية وترجع هذه المدة الطويلة لكبر حجم الفيل وتعقيد نمو جنينه .

" وقال عبد اللطيف البغدادي: إنها تحمل سبع سنين ولا ينزو إلا على فيلة واحدة، وله عليها غيرة شديدة، فإذا تم حملها وأرادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها، لأنها لا تلد إلا وهي قائمة، ولا فواصل لقوائمها فتلد، والذكر عند ذلك يحرسها وولدها من الحيات. ويقال: إن الفيل يحقد كالجمل، فربما قتل سائسه حقدا عليه، وتزعم الهند أن لسان الفيل مقلوب ولولا ذلك لتكلم. ويعظم ناباه وربما بلغ الواحد منهما مائة متر، وخرطومه من غضروف وهو أنفه ويده التي يوصل بها الطعام والشراب إلى فيه، ويقاتل بها ويصيح، وليس صياحه على مقدار جثته لأنه كصياح الصبي، وله فيه من القوة بحيث يقلع به الشجرة من منابتها، وفيه من الفهم ما يقبل به التأديب ويفعل ما يأمره به سائسه، من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والشر، في حالتي السلم والحرب وفيه من الأخلاق أن يقاتل بعضه بعضا، والمقهور منهما يخضع للقاهر، والهند تعظمه لما اشتمل عليه من الخصال المحمودة، من علو سمكه وعظم صورته، وبديع منظره، وطول خرطومه، وسعة أذنيه، وثقل حمله، وخفة وطئه، فإنه ربما مر بالإنسان فلا يشعر به لحسن خطوه واستقامته. ويطول عمره، فقد حكى أرسطو أن فيلا ظهر أن عمره أربعمائة سنة، واعتبر ذلك بالوسم. وبينه وبين السنور عداوة طبيعية، حتى إن الفيل يهرب منه، كما أن السبع يهرب من الديك الأبيض، وكما أن العقرب متى أبصرت الوزغة ماتت " . [١]

---

[١] **الحيوان للجاحظ ،ج ٢ ، ص ٣٠٩ – ٣١٠ .**

ولا يخفى على القارئ الكريم أن هذا الكلام يحوى الكثير من المبالغات والأخطاء العلمية فيما يتعلق بعمره ومدة حمله وما إلى ذلك .

المطلب الأول : فيل أبرهة الحبشى :

ولأن الفيل من النوادر التى رآها العرب؛ فقد عدت حادثة فيل أبرهة من الأحداث الكبرى فى تاريخ العرب، وسمى العام الذى وقعت فيه بعام الفيل، وهو الذى ولد فيه النبى ﷺ " فكان العرب فى الجاهلية يؤرخون بالأحداث العظيمة كحادث الفيل، وقد جاء الإسلام وهم على هذا، ثم فى صدر الإسلام أرخوا بشهر المبعث، وهو شهر ربيع الأول الذى نُبئ فيه النبى ﷺ ، ثم لما هاجر المسلمون إلى المدينة أرخوا بها " . [1]

وقد قيل : "جعل أول الشهور الهلالية المحرم ، حدث فى عهد عمر رضى الله عنه وكان قبل ذلك يؤرخ بعام الفيل" [2] وقد وردت فى حكاية هذا الحدث سورة من القرآن الكريم هى سورة الفيل .

فقد كان أبرهة الحبشي – الذى يعتقد أنه كان يحكم الجزء الغربى من جزيرة العرب – يطمح إلى منع الحجاج العرب من التوجه للكعبة الشريفة فى مكة، وفى محاولة

---

[1] الوسيط فى علوم ومصطلح الحديث،محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة ت ١٤٠٣ هـ،دار الفكر العربى،ص ٦٥٥ .

[2] محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمى ت ١٣٣٢ هـ المحقق : محمد باسل عيون السود،دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ،ج ٥ ص ٤٠٩ .

وانظر : الدر المنثور،عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين السيوطى ت ٩١١ هـ ،دار الفكر – بيروت ج ١، ص ١٥٢ .

منه للتحدى وإظهار القوة والسلطة قام ببناء معبد ضخم فى صنعاء أسماه كعبة اليمن؛ ليجذب الحجاج إليها بدلا من الكعبة فى مكة المكرمة .

وقاد أبرهة حملة عسكرية لتدمير الكعبة فى مكة واستعان بفيل كبير، وتدخلت القوى الإلهية وحالت بينه وبين مراده؛ حيث أُرسلت أسراب من الطير الأبابيل تحمل حصى صغيرة من سجيل ألقتها على الجيش الحبشى، مما تسبب فى هزيمتهم وفشل محاولتهم لتدمير الكعبة.

قال الثعلبى: " كان اسم الفيل محمودًا وكان من قبل النجاشى بعثه إلى أبرهة وكان فيلا لم يُر مثله فى الأرض عظمًا وقوة وجسما، وقال الكلبى : لم يكن عندهم إلا ذلك الفيل الواحد؛ فلذلك قال الله تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الفِيلِ" . قال الضحاك: كانت الفيلة كثيرة . ويقال: كان معه اثنا عشر فيلا وإنما وحده على هذا التأويل لوفاق رءوس الآى، ويقال نسبهم إلى الفيل الأعظم، قال: فأقبل الفيل الأعظم، فأخذ بأذنه وقال: ابرك محمودا أو ارجع راشدا من حيث جئت فإنك فى بلد الله الحرام، فبرك الفيل فبعثوه، فأبى أن يقوم، فضربوه بالمعول فى رأسه، فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ورفعوه ليقوم فأبى، فوجهوه راجعا إلى اليمن، فقام يهرول، ثم وجهوه إلى الشام، ففعل مثل ذلك، ثم وجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك، فصرفوه إلى الحرم فبرك وأبى أن يقوم." [١]

وفى ذلك قول رسول الله ﷺ عن فيل أبرهة الأشرم: "إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين" [٢] وفى موضع آخر فإن النبى ﷺ حينما توقفت ناقته

---

[١] عرائس المجالس، لأبى إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى الثعلبى ت ٤٢٧ هـ مكتبة الجمهورية العربية،ص ٥٠٢ .

[٢] صحيح البخارى ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى الجعفى،تحقيق / محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة،الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ ،ج ٣ ،ص ١٢٥ .

القصواء فجأة فى الحديبية وبركت وحرنت وأبت أن تواصل السير، قال مدافعًا عنها: "ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل" . [١]

فالمقصود بـ(حابس الفيل) فى قوله ﷺ هو الله سبحانه وتعالى؛ لأنه هو من حبس فيل أبرهة عن هدم الكعبة، وكذلك الله تعالى هو من حبس الناقة عن مواصلة السير.

المطلب الثانى : ما يميزه عن بقية الحيوانات :

" ومن شأن الفيل المقاتلة؛ ولذلك كان فى مربط ملك الصين ألف فيل أبيض " . [٢]

فهو مقاتل عظيم يتميز بالحكمة والقدرة على التعلم والتكيف مع الظروف، حتى إنه تم تقديسه فى الهند لقوته ومظهره المتميز وطول عمره. فى حين لم يستخدم البيزنطيون الأفيال فى الحرب، لكنهم عرضوها فى الأجواء الاحتفالية والمهرجانات .

وفى المقارنة بين الفيل والفرس فى مضمار الحرب قالوا : " ويفضل الفيل الفرس في الحرب أنّ الفيل يحمي الجماعة كلهم، ويقاتل ويرمي ويزجّ بالمزاريق، وله من الهول ما ليس للفرس، وهو أحسن مطاوعة، ولا يعرف بجماح ولا طماح ولا حران " . [٣]

وتتميز الخيل بالذكاء والصبر والإقدام " وكذلك الفيل فإنه يفهم الخطاب، ويمتثل الأمر والنهي على ما سبق وصفه كالإنسان العاقل " . [٤]

---

[١] صحيح البخارى ،ج ٣ ،ص ١٩٣ .

[٢] روح البيان ،إسماعيل حقى بن مصطفى الإستانبولى أبو الفداء ت ١١٢٧ هـ، دار الفكر – بيروت،ج ١٠ ،ص ٥١٢ .

[٣] الحيوان للجاحظ ،ج ٧ ، ص ١١١ .

[٤] مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين ت ٧٤٩ هـ، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ ،ج ٢٢، ص ١٥٧ .

ويمتلك الفيل ذاكرة قوية حيث يتذكر الأماكن ومواقع المياه ومسارات الهجرة على مسافات طويلة، ولديه القدرة على حل المشاكل المعقدة، ويستخدم أدوات مثل الأغصان أو الأحجار لمساعدته فى الحصول على الغذاء أو التواصل مع أفراد القطيع .

" ولا يدرى في الحيوانات أفهم من الفيل ولا أقبل منه للتعليم، ومن خواصه أنه لا ينظر إلى عورة الإنسان، وتتنافس ملوك الهند في اقتناء الفيلة وتتغالى في أثمانها وتحافظ عليها وتجلب إلى مرابطها عندهم صغاراً فتنشأ على التأنس بالناس ويقاتلون عليها؛ لأن الفيل الكبير يقاتل على ظهره اثنا عشر رجلاً بالحجف والسيوف والدبابيس الحديد، ويقف على رأس كل فيل رجل يسوقه بمخاطف، ويضرب على رأسه بخشبة ويحمل بعضها على بعض فيمر الأقوى على الأضعف، ولها كرات ورجعات، كل ذلك من أمر الفيلة مشهور في بلاد الهند. وقد عاين ذلك المسلمون في صدر الإسلام وفي حروب القادسية . " [١] ومن هنا بدأت معرفة العرب بالفيل تتأكد، وبدأ تأثيره فى معتقداتهم وتراثهم الشعبى يتوثق.

ولعل أهم ما يتميز به الفيل عن غيره من الحيوانات هو ضخامة جسده وخرطومه الطويل، "والعرب تعظم شأنه وتعجب من صورته وخلقته وقوة وكثافة أركانه" . [٢]

فهو يعد أكبر حيوان برى ثديى على اليابسة، ويتميز بالضخامة والثقل؛ حيث يصل وزن الفيل البالغ إلى عدة أطنان، وهو معروف بقامته العالية ورقبته القصيرة وأذنيه

١ الروض المعطار في خبر الأقطار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى ت ٩٠٠ هـ تحقبق: إحسان عباس،مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت ،الطبعة الثانية ١٩٨٠ م ،ج ١ ص ٦٧ .

٢ التفسير البسيط ،أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الواحدى النيسابورى الشافعى ت ٤٦٨ هـ،تم تحقيقه فى عدة رسائل دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود،الناشر: عمادة البحث العلمى ،الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ ،ج ٢٤،ص ٣٢٢ .

الكبيرتين وعينيه الصغيرتين مقارنة بحجم جسمه، ويتميز جسمه بالسمك والمرونة، ويغطيه فرو خشن وقوى .

إن ضخامة جسم الفيل تعزز قوته وقدرته على التكيف مع بيئته، كما أنها تلعب دورًا فى حمايته من الأخطار والتهديدات التى تحيط به فى مجتمع الغابة الوحشى .

ورغم ضخامته وعظم خلقه إلا أن العرب كانوا يزعمون هلعه من السنور [١] .

" وذهبوا إلى فزع الفيل من السنور ولم يروه يفزع مما هو أشد وأضخم " . [٢] ولعل هذا من المبالغات غير المعقولة التى وردت عن الفيل .

وأهم ما يميزه شكلا عن باقى الحيوانات هو خرطومه الطويل، الذى يعد أنفًا ويدًا فى آنٍ واحد؛ حيث يساعده على الإمساك بطعامه وإدخاله فى شدقه الواسع، كما يستطيع امتصاص قدر كبير من الماء سواء ليرتوى أم ليتحمم به. " ولو لم يكن من أعاجيب الفيل إلّا خرطومه الذي هو أنفه وهو يده، وبه يوصل الطعام والشّراب إلى جوفه، وهو شيء بين الغضروف واللحم والعصب، وبه يقاتل ويضرب، ومنه يصيح، وليس صياحه في مقدار جرم بدنه. ويضرب به الأرض ويرفعه في السّماء ويصرّفه كيف شاء، وهو مقتل من مقاتله. والهند تربط في طرفه سيفا شديد المتن فيقاتل به، مع ما في ذلك من التهويل على من عاينه". [٣] كما يستخدمه فى التحية والتفاعل الاجتماعى مع أفراد قطيعه، واستشعار الروائح وتحديد مواقع المياه والغذاء، علما بأن وظيفته الأساسية هى التنفس عن طريق سحب الهواء إلى الأنف .

---

١ "والسِّنَّوْرُ: الهِرُّ، مُشْتَقٌّ مِنْهُ، وَجَمْعُهُ السَّنَانِيرُ" (لسان العرب لابن منظور فصل السين المهملة).

٢ الحيوان للجاحظ ،ج ٢ ،ص ٢٨٢ .

٣ المصدر االسابق ، ج ٧، ص ٧١ .

أما عن صوت الفيل " فقد نقل عن العرب أنهم يقولون فى مثل صوت الإنسان من البهائم : رغا البعير، وجرجر وهدر وقبقب، وصهل الفرس وحمحم، وشهق الحمار ونهق، وشحج البغل، وثغت الشاة ويعرت، وثأجت النعجة، وبغم الظبى ونزب، وزأر الأسد ونأت، ووعوع الذئب، ونهم الفيل ". [(١)] فيسمى صوته بالنهيم .

المبحث الأول : الفيل فى أساطير العرب :

كثرت الأقاويل والمعتقدات العربية العجائبية عن الفيل وأصله؛ فمنهم من قال إن الفيل أصله إنسان؛ " أما الفيل فكان رجلا لوطيا ينكح البهائم، لا يدع رطبًا ولا يابسًا، فمسخه الله فيلاً " [(٢)]

---

[١] زاد المسير فى علم التفسير،جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على الجوزى ت ٥٩٧ هـ، تحقيق : عبد الرازق المهدى ، دار الكتاب العربى – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ، ج ٢،ص ١٥٥ .

[٢] الهداية إلى بلوغ النهاية فى علم معانى القرآن وتفسيره وإحكامه وجمل من فنون علومه لأبى محمد مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار القيسى القيروانى ثم الأندلسى القرطبى المالكى ت ٤٣٧ هـ، المحقق / مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمى – جامعة الشارقة بإشراف أ.د. الشاهد البوشيخى
الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م ، ج ٣ ، ص ١٨٢٤ .
وانظر : الجامع الكبير، لجلال الدين السيوطى ت ٩١١ هـ ، تحقيق : مختار إبراهيم الهائج – عبد الحميد محمد ندا – حسن عيسى عبد الظاهر ،الناشر : الأزهر الشريف، الطبعة الثانية ،٢٠٠٥ م، ج ١٧ ،ص ٦٩٤ .
وانظر: الدر المنثور لجلال الدين السيوطى ت ٩١١ هـ دار الفكر – بيروت ،ج ١، ص ٢٤٩.
وانظر: الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة ت ١٤٠٣هـ ، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة ، ص ١٦٧ .

" ويذكر ابن بابويه القمى عن أبى الحسن أنه سئل عن الممسوخ، فقال : فأما الفيل فإنه مسخ؛ لأنه كان ملكًا زناء لوطيًا " . [1]

ومنهم من ادعى أن الفيل أصله خنزير وبناء على هذا حرمه جمهور العلماء – كما سيأتى فى موضع لاحق – فعن عبد الرزاق بن همام قال : " أخبرنا مَعْمَر عَمَّن سمع الحسن يقول : الفيل خنزير لا يؤكل لحمه ولا يشرب لبنه . أو قال : لا يُحلب ضرعه ولا يُجلب ظفره " . [2]

وفى ذلك وردت رواية عن سفينة نوح عليه السلام التى جمع فيها الحيوانات من كل نوع اثنين فقد قيل : " قال الحواريون لعيسى بن مريم : لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها، فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب، فأخذ كفًّا من ذلك التراب بكفه، قال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : هذا كعب حام بن نوح . فضرب الكثيب بعصاه، قال : قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه قد شاب. قال له عيسى : هكذا هلكت ؟ قال : لا ولكن مت وأنا شاب، ولكنى ظننت أنها الساعة، فمن ثم شبت . قال : حدثنا عن سفينة نوح . قال : كان طولها ألف ذراع ومئتى ذراع، وعرضها ست مائة ذراع، وكانت ثلاث طبقات، فطبقة فيها الدواب والوحش، وطبقة فيها

---

[1] الشيعة وأهل البيت　إحسان إلهى ظهير الباكستانى ت ١٤٠٧ هـ ،الناشر : إدارة ترجمان السنة ،لاهور – باكستان　ص ٢٥٤ .

[2] المصنف، لأبى بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى　اليمانى الصنعانى　ت ٢١١ هـ تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمى ، الناشر : المجلس العلمى – الهند ، يطلب من : المكتب الإسلامى – بيروت،الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ ،ج ٤ ، ص ٥٣٤ .

الإنس، وطبقة فيها الطير. فلما كثر أرواث الدواب، أوحى الله إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة، فأقبلا على الروث " . [١]

وفى رواية أخرى للقصة نفسها : " فعطس الفيل فخرج من منخره خنزيران ذكر وأنثى، فأكلا أذى أهل السفينة " . [٢]

وقد عدت هذه القصص من الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير . [٣]

---

[١] تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبرى ت ٣١٠ هـ ،تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركى ،دار هجر للطباعة والنشر الطبعة الأولى ٢٠٠١ م ،ج ١٢ ،ص ٣٩٥ .

وانظر : تفسير القرآن العظيم لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثيرت ٧٧٤ هـ، تحقيق: سامى بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩ م ،ج ٤ ، ص ٣٢٠ .

وانظر : تفسير البغوى (معالم التنزيل فى تفسير القرآن) لأبى محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوى الشافعى ت ٥١٠ هـ تحقيق : عبد الرزاق المهدى، دار إحياء التراث العربى – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ ، ج ٢ ، ص ٤٤٨ .

وانظر : الدر المنثور لجلال الدين السيوطى ت ٩١١ هـ دار الفكر – بيروت ج ٤، ص ٤٢٠ .

وانظر : التفسير المظهرى لمحمد ثناء الله المظهرى تحقيق : غلام نبى التونسى ،طبعة عام ١٤١٢ هـ ، مكتبة الرشدية – باكستان، ج ٥ ، ص ٨٥ .

وانظر : الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ،لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة،ت ١٤٠٣ هـ مكتبة السنة ،الطبعة الرابعة ،ص ٢١٧ .

وانظر : الأحاديث الضعيفة والموضوعة التى حكم عليها الحافظ ابن كثير فى تفسيره،لأبى عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح ، الناشر : مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية ،الطبعة الأولى ٢٠١٠ م، ص ٢١٣ .

[٢] الدر المنثور ، لجلال الدين السيوطى،دار الفكر – بيروت ، ج ٤، ص ٤٢٨ .

[٣] انظر الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير ،د. محمد بن محمد أبو شهبة ،مكتبة السنة الطبعة الرابعة ، ١٤٠٨ هـ ، ص ٢١٦ .

" وتقول الهند: إنّ لسان الفيل مقلوب، ولولا أنّه مقلوب ثمّ لقن الكلام لتكلم " . [١]

والمراد أن كل حيوان على الأرض ذو لسان فأصل لسانه إلى الداخل وطرفه إلى الخارج، أما الفيل فإن طرف لسانه إلى الداخل وأصله إلى الخارج، وهذا معنى أن لسانه مقلوب .

" وقالوا: ليس فى الحيوان ما لسانه مقلوب إلا الفيل، وليس فى ذوات الأربع ما ثديه على صدره إلا الفيل، وقالوا إن الفيل تضع لسبع سنين " . [٢]

ومن المعتقدات الخرافية حول الفيل عمره الذى قيل فيه : " ويعمر الفيل بأرض الزنج نحوًا من أربعمائة عام، ولا ينتهى عمره فى سائر مواضعه إلى هذا " . [٣]

المبحث الثانى : الفيل فى أشعار العرب :

لأشعار الفخر التى تعرضها الباحثة هنا مذاق خاص، مذاق يجعل وصفها بالشعبية أمرا طبيعيا، إن لم يكن ضروريا، ففى بعضها مبالغة تخرج بها عن حد المعقول، وفى بعضها الآخر غرابة غير معهودة فى هذا الغرض من أغراض الشعر، الذى يستلزم أن يكون الشاعر دقيقا كل الدقة، وهو ينتقى ما يفخر به حتى يعلى من شأنه، ويخلد ذكراه .

---

١ الحيوان للجاحظ ،ج ٧ ، ص ٦٢ .

٢ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، لعبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادى التميمى الأسفراييني أبو منصور (المتوفى ٤٢٩ هـ) دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م ، ص ٢٩٧ .

٣ المسالك والممالك ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى الأندلسى ت ٤٨٧ هـ دار الغرب الإسلامى ، ١٩٩٢ م ، ج١ ، ص ٣٢٢ .

فمن أمثلة المبالغة والتهويل ما يرويه الجاحظ من شعر هارون مولى الأزد، ذلك الشاعر المحارب الذى تخصص خلال فتوح المسلمين لبلاد فارس، تخصص فى منازلة الأفيال وهزيمتها، وكتب العديد من قصائده يفخر بذلك .

ففى إحداها يذكر أنه استعان بالحيلة فى هزيمة ذلك الفيل المدرب على القتال بسيف يمسكه بخرطومه، فلقد خبأ له تحت ثيابه هرا – وهو يعلم أن الفيل يخاف الهر خوفا شديدا – فلما اقترب منه، رمى بالهر فى وجهه، " فأدبر هاربا وتساقط كل من كان فوقه، وكبر المسلمون، وكان ذلك سبب الهزيمة ". [1]

قال هارون بعد وصف الفيل :

وقد كنت أعددت هرا له   قليل التهيب للزندبيل
فلما أحس به فى العجا   ج أتانا الإله بفتح جميل
فطار .. وراغم فياله   بقلب نجيب وجسم نبيل
فسبحان خالقه وحده   إله الأنام ورب الفيول[2]

وفى قصيدة أخرى، يذكر هارون أنه أبى إلا أن يصارع الفيل رجلا لرجل ! فصارعه واقتلع نابيه من أصلهما، وأدبر الفيل، وصار القرنان فى يديه، وغنم المسلمون غنائم كثيرة، يقول هارون :

مشيت إليه وادعا متمهلا   وقد وصلوا خرطومه بحسام
فقلت لنفسى : إنه الفيل ضارب   بأبيض من ماء الحديد هذام
فإن تنكلى عنه فعذرك واضح   لدى كل منخوب الفؤاد عبام
فناهشته .. حتى لصقت بصدره   فلما هوى لازمت أى لزام

---

[1] الحيوان للجاحظ ، ج ٧، ص ٤٨ .

[٢] المصدر السابق ج ٧، ص ٤٧ ، وانظر ج٧ ،ص ٦٩ – ٧٠ .

وعذت بقرنيه أريد لبانه		وذلك من عادات كل محام
فجال وهجيراه صوت مخضرم		وأبت بقرنى يذبل وشمام[1]

وفى باب الاعتذار ذكر كعب بن زهير الفيل قائلا :

فقد أتيت رسول الله معتذرا		والعذر عند رسول الله مقبول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ		ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم		أجرم ولو كثرت عنى الأقاويل
لقد أقوم مقاما لو يقوم له		أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
لظل يرعد إلا أن يكون له		عند الرسول بإذن الله تنويل[2]

حيث يصور كعب شدة خوفه من وعيد رسول الله ﷺ حتى إن الفيل عظيم الجثة نفسه ليرتعد من هيبة النبى الكريم وعظمته، حتى يعفو عنه عليه أفضل الصلاة والسلام، فيهدأ ويرتاح وتطمئن نفسه.

قال البحترى يهجو :

تعجب أهل مكة إذ رأونا		وحق لهم رأوا أمرا عجابا
رأوا فيلا يعادله ذباب		وكيف يعادل الفيل الذبابا [3]

---

[1] الحيوان للجاحظ ، ج ٧ ، ص ٦٩ (الهذام : القاطع ، تنكلى : تجبنى ، منخوب الفؤاد : الجبان ، العبام : الأحمق ، هوى : أى الفيل ، بقرنيه يعنى نابيه ، لبانه : صدره ، المخضرم : المقطوع نصف أذنه ، يذبل وشمام : جبلان) .

[2] المستدرك على الصحيحين لأبى عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبى الطهمانى النيسابورى المعروف بابن البيع (المتوفى ٤٠٥ هـ) تحقيق / مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م ،ج ٣ ، ص ٦٧٠ .

[3] ديوان البحترى،تحقيق / حسن كامل الصيرفى ، دار المعارف ، ١٩٧٨ م ،ج ١ ، ص ٣٢٧ .

وقال ابن الرومى يهجو القاسم بن عبيد الله وكاتبه عمرو النصرانى :

دعوا الفيل ذا الخرطوم يفرح ساعة　　بخرطومه المقبوح لا وجهه النضر
دعوه يذكرنا نكيرا ومنكرا　　وصيحة إسرافيل فى صيحة النشر
دعوه يعوذنا من العين إنه　　هو العوذة الكبرى المنوطة فى النحر
دعوه نردد لحظنا فيه إنه　　من النُّزَه المغفول عنهن فى القفر [١]

وقال من قصيدة فى الهجاء يصف أنف المهجو :

وإذا نهضت كبا بوجـ　　ـهك للجبين المعطس
فالأنف منك لعظمه　　أبدا لرأسك يعكس
حتى يظن الناس أنـ　　ـك فى التراب تفرس
ولأنت أجدر بالذى　　قال الفتى المتنطس
إن كان أنفك هكذا　　فالفـيل عـندك أفطـس [٢]

وقال فى وصف قوة الفيل وضخامته :

يقلِّب جثمانا عظيما موثقا　　يهد بركنيه الجبال إذا زحمْ
ويسطو بخرطوم يطاوع أمره　　ومشتبهات ما أصاب بها غنمْ
ولست ترى بأسًا يقوم لبأسه　　إذا أعمل النابين فى البأس أو صدم[٣]

---

[١] ديوان ابن الرومى ، شرح أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢ م ،ج ٢ ، ص ٤٨ .

[٢] ديوان ابن الرومى ،شرح أحمد حسن بسج ، ج ٢ ص ٢٠٦ .

[٣] نهاية الأرب فى فنون الأدب،أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ،١٤٢٣ هـ ،ج ٩، ص ٣١١ .

يقول أبو حيان الأندلسى فى الفيل :

وأدكن مثل الطود أما سراته ففيحاء يعلوها عديد من الرجل
له جثة عظمى كأن إهابه صفيحُ حديدٍ لا يخرَّق بالنبل

ثم يصف حدة بصره وقوته وكيف يهز الأرض فتميد بأهلها كأن بها الزلزال . والفيل سفينة البر له خرطوم يقوم مقام اليد فى الأخذ والرمى والأكل، ويلعب بالأسياف كأنها مخاريق بالأيدى، ويخر ساجدا للسلطان حتى كأنه إنسان يحس ويشعر، يقول :

إذا ما رأى السلطان قد خر باركا له خدمة غرزًا بأنيابه العُصْل
ذكىٌّ أخو فهم على عظم جسمه يكاد يبارى فى الذكاء ذوى العقل
فلو صح قول بالتناسخ قلت قد سرت روح أرساطو لجثمانه العبل
غريب بلاد قد تأنَّس بعدما توحش دهرًا فى بياب وفى أهل
تعالى الذى أنشاه شكل بعوضة فلا فرق إلا بالتكثر والقل [1]

وقد ألغز بعضهم فى الفيل بقوله :

ما اسم شىء تركيبه فى ثلاث وهو ذو أربع تعالى الإله
حيوان والقلب منه نبات لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن إذا ما عكسوه يصير لى ثلثاه

---

[1] **ديوان أبى حيان الأندلسى تحقيق د. أحمد مطلوب – د. خديجة الحديثى الطبعة الأولى مطبعة العانى – بغداد ١٩٦٩ م ، ص ٧٩ – ٨٠ .**

فأجاب بعضهم : بأن قلب فيل ليف . [١]

يقول الشاعر إن اللفظ يتكون من ثلاثة أحرف وهو حيوان يمشى على أربع، وإذا قلبنا حروفه صار نباتا (ليف)، وإذا تم تصحيف لفظه تحول إلى (فيك) فتقلب اللام كافا، وإذا تم عكس حروفه صار حرفا اللام والياء (لى) ثلثاه .

يقول أحد الشعراء المخمورين :

لا يلذ السكر حتى يأكل السكران نعله
ويرى القطة فيلا ويظن الفيل نملة[٢]

وفى هذين البيتين تصوير لتلك اللذة والنشوة المزعومة التى يشعر بها شارب الخمر، فلا يكون واعيا ومدركا لما يفعله حتى لو أكل نعله، وهو تصرف يستحيل حدوثه من الإنسان العاقل المسئول عن تصرفاته . وهو من فرط ذهوله وغياب عقله تنعكس لديه الرؤى وتنقلب المقاييس، فيرى القطة بحجم الفيل، وإذا رأى الفيل ظنه نملة؛ لهذا حرم الله الخمر وسميت (أم الخبائث) .

---

١ **تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمى على الخطيب لسليمان بن محمد بن عمر البجيبرمى المصرى الشافعى (المتوفى : ١٢٢١ هـ) ، دار الفكر ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م ، ج ٤، ص ٣٠٨ .**

٢ **مناظرة بين الإسلام والنصرانية ، لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية ، مثل الجانب الإسلامى فى المناظرة كل من الشيخ الدكتور محمد جميل غازى والأستاذ إبراهيم خليل أحمد واللواء المهندس أحمد عبد الوهاب**
الناشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض – المملكة العربية السعودية – الطبعة الثانية ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م ، ص ٤٢٦ .

.

ولم يفت الشعراء أن يتحدثوا عن حادثة الفيل؛ فقد قال عبد الله بن عمرو بن مخزوم، فى قصة أصحاب الفيل :

أنت الجليل ربنا لم تدنس أنت حبست الفيل بالمغمس

من بعد ما هم بشر ملبس حبسته فى هيئة المكركس

وما لهم من فرج ومنفس

والمكركس : المنكوس المطروح . [١]

قَالَ الشَّاعِرُ :

أَصْرِفُ وَجْهي عَنْ أَجِيجِ التَّنُّور كأَنَّ فِيه صوتَ فِيلٍ مَنْحُور [٢]

قَالَ الشَّاعِرُ :

مَرَاجِلُنا مِنْ عَظْمِ فِيلٍ، وَلَمْ تَكُنْ مَرَاجِلُ قَومي مِنْ جَديد القَماقِمِ[3]

والمرجل هو المشط .

وقال آخر :

إن كنت أشكو من يدق عن الشكاية فى قريضى

---

[١] الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى شمس الدين القرطبى (المتوفى ٦٧١هـ) تحقيق / أحمد البردونى وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م ، ج ٢٠ ،ص ١٩٦.

[٢] المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده ت ٤٥٨ هـ ، تحقيق / عبد الحميد هنداوى ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ٢٠٠٠ م ، ج ٧ ، ص ٤٧٣ .

[٣] لسان العرب لابن منظور، فصل الميم ، ج ١١ ، ص ٦٢٣ .

فالفيل يضجر وهو أعـــــــــــظم ما رأيت من البعوض[١]

والفيل يوصف بالفقم، والأفقم هو من كانت ثناياه العليا إلى الخارج، فلا تقع على السفلى، قال الأعرابيّ :

قد قادني أصحبي المعمّ ولم أكن أخدع فيما أعلم
إذ صفق الباب العريض الأعظم وأدني الفيل لنا وترجموا
وقيل إنّ الفيل فيل مرجم خبعثن قد تمّ منه المحزم
أجرد أعلى الجسم منه أصحم يجرّ أرحاء ثقالا تحطم
ما تحتها من قرضها وتهشم وحنك حين يمدّ أفقم
ومشفر حين يمدّ سرطم يردّه في الجوف حين يطعم
لو كان عندي سبب أو سلّم نجّيت نفسي جاهدا لا أظلم

وقال آخر:

من يركب الفيل فهذا الفيل إنّ الذي يركبه محمول
على تهاويل لها تهويل كالطّود إلّا أنّه يجول

وأذن كأنها منديل [٢]

" قال أبو عثمان: خرجت يوم عيد، فلما صرت بعيسا باذ إذا أنا بتلّ مجلّل بقطوع ومقطّعات ، وإذا رجال جلوس، عليهم أسلحتهم فسألت بعض من يشهد العيد، فقلت : ما بال هذه المسلحة في هذا المكان، وقد أحاط النّاس بذلك التّلّ ؟ فقال لي: هذا الفيل!

---

١ **التمثيل والمحاضرة عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبى ت ٤٢٩ هـ تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو، الدار العربية للكتاب،الطبعة الثانية، ١٩٨١ م ، ص ٣٣٣ .**

٢ **الحيوان للجاحظ ، ج ٧ ، ص ١٠٥ .**

فقصدت نحوه وما لي همّ إلّا النّظر إلى أذنيه، فرجعت عنه بعد طول تأمّل، وأنا أتوهّم عامّة أعضائه بل جميع أعضائه إلّا أذنيه، وما كانت لي في ذلك علّة إلّا شغل قلبي بكلّ شيء هجمت عليه منه، وكلّه كان شاغلا لي عن أذنه التي إليها كان قصدي، فذاكرت في ذلك سهل بن هارون، فذكر لي أنّه ابتلي بمثلها، وأنشدني في ذلك بيتين من شعره، وهما قوله:

أتيت الفيل محتسبا بقصدي لأبصر أذنه ويطول فكري

فلم أر أذنه ورأيت خلقــا يقرّب بين نسياني وذكري [1]

" وأنشدوا في تعظيم شأن الفيل وصحة نظره وجودة تحديقه وتأمّله، وسكون طرفه، والشّعر لبعض المتكلّمين :

إذا ما رأيت الفيل ينظر قاصدا ظننت بأنّ الفيل يلزمه الفرض

وقد قيل إن الشّعر لسهل بن هارون " . [2]

وقال ابن طباطبا فى وصف الفيل :

أعجب بفيل آنس وحشى بهيمة فى فطنة الإنسيِّ

يفهم عن سائسه الهندى غيب معانى رمزه الخفى

منزه فى خلقه السوى عن لين مشى ركب المطى

ذى ذنب مطول ثورى فى مثل ردف الجمطل البختى

منخفض الصوت طويل العى يطوف كالمزدجر المنهى

[1] الحيوان للجاحظ ، ج ٧ ، ص ١٢١ .
[2] المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٢٣ .

يرنو بطرف منه شادنى	فى قبح وجه منه خنزيرى
خرطومه كجعبة التركى	حكى فمًا من سمك بحرى
تبصره فى فيه ذا هوى	كالدلو إذ تهوى إلى القرى
يصب فى مصهرج مطوى	ناباه فى هولهما المخشى
كمثل قرنى ناطح طورى	أذناه فى صبغهما الفضى
كطيلسانى ولدى ذمى	سائسه عليه ذو رقى
منتصب منه على كرسى	يطيعه فى أمره المأبى

كطاعة القرقور للنوتى[١]

وقال مروان بن محمد (أبو الشمقمق) :

يا قوم إنى رأيت الفيل بعدكم	فـبــارك الله لى فى رؤية الفيل
رأيت بيتا له شىء يحركــه	فكدت أصنع شيئًا فى السراويل [٢]

المبحث الثالث : الفيل فى تفسير الأحلام :

تعد رؤية الفيل فى المنام من الرؤى التى ذكر بها العديد من التفسيرات والاجتهادات من قبل الكثير من العلماء المتخصصين فى علم تفسير الأحلام، وفيما يلى استعراض لبعض تلك التفسيرات التى ذكرها المعبرون :

قال ابن سيرين : " الفيل مختلف فيه، فمنهم من قال : إنه ملك ضخم، ومنهم من قال : رجل ملعون؛ لأنه من الممسوخ .

١ نهاية الأرب فى فنون الأدب ، للنويرى ، ج ٩ ، ص ٣٠٩ .

٢ المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ١٠٦ .

وحكى : أن رجلاً أتى ابن سيرين، فقال : رأيت كأننى على فيل . فقال ابن سيرين : الفيل ليس من مراكب المسلمين، أخاف أنك على غير الإسلام . وقيل : إنه شىء مشهور عظيم، لا نفع فيه؛ فإنه لا يؤكل لحمه ولا يحلب .

وقال بعضهم منِ رأى فيلاً ولم يركبه نال في نفسه نقصاناً وفي ماله خسراناً فإن ركبه نال ملكاً ضخماَ شحيحاً ويغلبه إن كان يصلح للسلطان فإن لم يكن يصلحِ لقي حرابا ولم ينصر؛ لأن راكبه أبداً في كيد فلذلك لا ينصر؛ لقوله تعالى {ألم تر كيف فَعَلَ رَبكَ بأَصْحَاب الفِيل} وربما قتِل فيها فإن ركبه بسرج وهو يطيعه تزوج بابنة رجل ضخم أعَجمي، وإن كان تاجراً عظمت تجارته، فإن ركبه نهاراً فإنه يطلق امرأته ويصيبه سوء بسببها، ومنِ رعى فيولا فإنه يواخى ملوك العجم فينقادون بقدر طاعته، فإن رأى أنه يجلب فيلاً فإنه يمكر بملك ضخم وينال منه مالاً حلالاً، وروث الفيل مال الملك .

ومن رأى فيلاً مقتولاً في بلده فإنه يموت ملك تلك البلدة أو رجل من عظمائها .

ومن رأى كأن الفيل يتهدده أو يريده فإن ذلك مرض، وإن رأى كأنه ألقاه تحته ووقع فوقه دل على موت صاحب الرؤيا، فإن لم يلقه تحته فإنه يصير إلى شدائد وينجو منها فقد قيل أن الفيل حيوان ملك الجحيم، وأما للمرأة فليس بدليل خير كيفما رأته، وقيل من رأى كأنه يكلم الفيل نال من الملك خيراً، فإن رأى أنه تبعه الفيل ركضا نال مضرة من ملك، ومن ضربه الفيل بخرطومه أصاب ثروة، وقيل ان رؤية الفيل في غير بلاد الهند شدة وفزع وفي بلاد النوبة ملك، واقتتال الفيلين اقتتال ملكين، وأكثر ما يدل الفيل على السلطان الأعجمي وربما دل على المرأة الضخمة والسفينة الكبيرة، ويدل أيضاً على الدمار والدائرة لما نزل بالدين قدموا بالفيل إلى الكعبة من طير أبابيل وحجارة من سجيل، وربما دل على المنية، وركوبه يدل على التزويج لمن كان عزباً، أو ركوب سفينة أو

محمل إن كان مسافرا وإلا ظفر بسلطان أو تمكن من ملك إلا أن يكون في حرب فإنه مغلوب مقتول .

ومن رأى الفيل خارجاً من مدينة وكان ملكها مريضاً مات وإلا سافر منها وعزل عنها أو سافرت سفينة كانت فيها إن كانت بلدة بحر إلا أن تكون ورباء أو فناء أو شدة فإنها تذهب عنهم بذهاب الفيل عنهم " . [١]

والملاحظ هنا أن بعض هذه التفاسير التى وردت مبنية على معتقدات تقدم ذكرها فى مبحث "الفيل فى أساطير العرب" مثل كونه رجلا ملعونًا ممسوخًا .

"ومن قرأ سورة الفيل نصر على الأعداء وجرى على يديه فتوح في الإسلام". [٢]

وروى عن محمد بن سيرين أيضًا أنه " سئل عن الفيل فى النوم، فقال : أمر جسيم، قليل المنفعة " . [٣]

وفى التفسيرات الغربية لرؤية الفيل فى المنام : " إذا حلمت بركوب الفيل فإن هذا يدل على أنك ستمتلك ثروة من أقوى الثروات مالياً، وسترتدي درجات الشرف بكبرياء. ستتحكم في كل اتجاهات شؤون عملك، وستكون كلمتك قانوناً في المنزل.

إذا شاهدت أفيالاً كثيرة فإن هذا يدل على نجاح هائل، أما إذا كان فيلاً واحداً فإنه يدل على أنك ستعيش بطريقة ضئيلة ولكنها قوية.

---

[١] تفسير الأحلام = منتخب الكلام في تفسير الأحلام (مطبوع بهامش تعطير الأنام في تعبير المنام للنابلسي) لمحمد بن سيرين (المتوفى: ١١٠هـ) – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاد – ١٣٥٩ – ١٩٤٠ م ج ١ ، ص ٣٦٦ وما بعدها .

[٢] تفسير الأحلام لابن سيرين ج ١ ، ص ٧٤ (باب تأويل سور القرآن).

[٣] كتاب الرؤيا ، لحمود بن عبد الله بن حمود بن عبد الرحمن التويجرى (المتوفى ١٤١٣ هـ) دار اللواء – الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ،ص١٦١.

إذا حلمت بأنك تطعم فيلاً فإن هذا يدل على أنك سترفع نفسك في مجتمعك وذلك بلطفك مع الذين يشغلون مراكز أدنى منك " . (١)

وقيل : " تدل رؤية خرطوم الفيل في الحلم على أيام صعبة بالنسبة لك يحيط بك الأعداء والشدائد فيها " . (٢)

المبحث الرابع : الفيل فى النوادر والحكايات الشعبية :

كان الكثير من الحكايات الشعبية العربية يتعلق بعالم الحيوان، وهو أمر طبيعى لما تميز به العقل العربى من ثراء والخيال العربى من سعة، ولما تميزت به حياة العرب من بيئة صحراوية موحشة، تزخر بالعديد من الحيوانات؛ سواء الأليفة الوديعة أم الوحشية المفترسة .

وبطبيعة الحال فقد لعبت الحيوانات الضخمة دورا فى ذلك فأنطقها الخيال العربى وأسبغ عليها صفات إنسانية، وفى بعض الأحيان أزال ما بين تلك الحيوانات وبين الإنسان من حواجز صنعتها الطبيعة، وحالت بين تواصلهما فى العالم الواقعى . وفيما يلى أمثلة على تلك الحكايات الشعبية التى اتخذت الفيل بطلا رئيسا لها :

" حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، ثنا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ بَكْرٍ، أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْقَلَانِسِيَّ، رَكِبَ الْبَحْرَ فِي بَعْضِ سِيَاحَتِهِ فَعَصَفَتْ بِهِ الرِّيحُ فِي مَرْكَبِهِمْ فَدَعَا أَهْلُ الْمَرْكَبِ وَتَضَرَّعُوا وَنَذَرُوا النُّذُورَ، وَقَالُوا: أَيْ عَبْدَ اللَّهِ، كُلُّنَا قَدْ عَاهَدْنَا اللَّهَ وَنَذَرْنَا نَذْرًا إِنْ نَجَّانَا اللَّهُ فَانْذُرْ أَنْتَ نَذْرًا وَعَاهِدِ اللَّهَ عَهْدًا، فَقُلْتُ: أَنَا مُتَجَرِّدٌ مِنَ الدُّنْيَا مَالِي وَالنَّذْرَ، فَأَلَحُّوا عَلَيَّ فَقُلْتُ: " لِلَّهِ

---

[١] موسوعة تفسير الأحلام ، لجوستاف هيندمان ميلر (المتوفى: ١٣٤٧هـ) ،ترجمة: هدى موسى الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، ص ١٢٦ .

[٢] المرجع السابق ، ص ٥٩ .

عَلَيَّ نَذْرٌ إِنْ يُخَلِّصْنِي اللَّهُ مِمَّا أَنا فِيهِ، لَا آكُلُ لَحْمَ الْفِيلِ فَقَالُوا: إِيشْ هَذَا النَّذْرُ؟ وَهَلْ يَأْكُلُ لَحْمَ الْفِيلِ أَحَدٌ؟ فَقُلْتُ: كَذَا وَقَعَ فِي سِرِّي وَأَجْرَى اللَّهُ عَلَى لِسَانِي، فَانْكَسَرَتِ السَّفِينَةُ وَوَقَعْتُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِهَا إِلَى السَّاحِلِ فَبَقِينَا أَيَّامًا لَمْ نَذُقْ ذَوَاقًا، فَبَيْنَمَا نَحْنُ قُعُودٌ إِذَا بِوَلَدِ فِيلٍ فَأَخَذُوهُ وَذَبَحُوهُ، فَأَكَلُوا لَحْمَهُ وَعَرَضُوا عَلَيَّ أَكْلَهُ فَقُلْتُ: أَنا نَذَرْتُ وَعَاهَدْتُ اللَّهَ، أَنْ لَا آكُلَ لَحْمَ الْفِيلِ، فَاعْتَلُّوا عَلَيَّ بِأَنِّي مُضْطَرٌّ وَلِي فَسْخُ الْعَهْدِ لِاضْطِرَارِي، فَأَبَيْتُ عَلَيْهِمْ وَثَبَتُّ عَلَى الْعَهْدِ فَأَكَلُوا وَامْتَلَئُوا وَنَامُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ نِيَامٌ إِذْ جَاءَتِ الْفِيلَةُ تَطْلُبُ وَلَدَهَا وَتَتْبَعُ أَثَرَهُ فَلَمْ تَزَلْ تَشَمُّ الرَّائِحَةَ حَتَّى انْتَهَتْ إِلَى عِظَامُ وَلَدِهَا فَشَمِّتْهُ ثُمَّ جَاءَتْ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهَا فَلَمْ تَزَلْ تَشَمُّ وَاحِدًا وَاحِدًا، فَكُلَّمَا شَمَّتْ مِنْ وَاحِدٍ رَائِحَةَ اللَّحْمِ دَاسَتْهُ بِرِجْلِهَا أَوْ بِيَدِهَا فَقَتَلَتْهُ حَتَّى قَتَلَتْهُمْ كُلَّهُمْ ثُمَّ أَقْبَلَتْ إِلَيَّ فَلَمْ تَزَلْ تَشَمُّنِي فَلَمْ تَجِدْ مِنِّي رَائِحَةَ اللَّحْمِ، فَأَدَارَتْ مُؤَخَّرَهَا وَأَوْمَأَتْ بِخُرْطُومِهَا أَيِ ارْكَبْ فَلَمْ أَقِفْ عَلَى مَا أَوْمَأَتْ فَرَفَعَتْ ذَنَبَهَا وَرِجْلَهَا فَعَلِمْتُ أَنَّهَا تُرِيدُ مِنِّي رُكُوبَهَا فَرَكِبْتُهَا فَاسْتَوَيْتُ عَلَى شَيْءٍ وَطِيءٍ فَسَارَتْ بِي سَيْرًا عَنِيفًا إِلَى أَنْ جَاءَتْ بِي فِي لَيْلَتِي إِلَى مَوْضِعِ زَرْعٍ وَسَوَادٍ وَأَوْمَأَتْ إِلَيَّ أَنْ أَنْزِلَ، فَتَدَلَّتْ بِرِجْلِهَا حَتَّى نَزَلْتُ عَنْهَا فَسَارَتْ سَيْرًا أَشَدَّ مِنْ سَيْرِهَا بِي فَلَمَّا أَصْبَحْتُ رَأَيْتُ زَرْعًا وَسَوَادًا وَنَاسًا، فَحَمَلُونِي إِلَى مَلِكِهِمْ وَسَأَلَنِي تَرْجُمَانُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِالْقِصَّةِ وَمَا جَرَى عَلَى الْقَوْمِ، فَقَالَ لِي: مَا تَدْرِي كَمِ السَّيْرُ الَّذِي سَارَتْ بِكَ اللَّيْلَةَ؟ فَقُلْتُ: لَا، فَقَالَ: مَسِيرَةُ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ، سَارَتْ بِكَ فِي لَيْلَةٍ فَلَبِثْتُ عِنْدَهُمْ إِلَى أَنْ حُمِلْتُ وَرَجَعْتُ " . (١)

---

[١] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ) الناشر: السعادة -١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ج ١٠، ص ١٦٠ - ١٦١

وانظر : روح البيان لإسماعيل حقى بن مصطفى الإستانبولى الحنفى الخلوتى المولى أبو الفداء (المتوفى : ١١٢٧ هـ) ، دار الفكر - بيروت ج ٢ ، ص ٤١٦ .

وفى هذه القصة قيمة أخلاقية مهمة حيث أظهر ذلك الشخص الالتزام بكلمته والصدق فى تنفيذ ما نذره ووعد به، رغم أنه فى بعض الحالات القاهرة قد يكون مسموحًا تعديل النذر أو إلغاؤه عند الاضطرار، إلا أنه أصر على موقفه وكان عاقبة ذلك نجاته من الموت المحقق، تحت أقدام الفيلة الأم التى ساعدته، بعد أن علمت ببراءته من دم ابنها.

" وقفت مرّة بعوضة فوق ظهر فيل وهو يمشي، فقالت له: هل أثقلت عليك يا أخي؟ فإن كنت فعلت ذلك فإنّني سأنزل عند بلوغنا مورد الماء، فأجابها الفيل: من أنت؟ لم أحسّ أنّك كنت فوق ظهري ولن أعرف عندما تنزلين " . (1)

وهذه القصة تصور الشخص التافه الذى لا قيمة له وكيف يتخيل أنه مركز الكون، وأن وجوده له كبير الأثر على حياة من حوله، فالتعامل الأمثل معه هو إرجاعه إلى حجمه الطبيعى واللامبالاة بغروره الزائف .

ومما يتميز به الفيل أنه من الحيوانات التى تفيض بالمشاعر الجياشة، وأنه لا ينسى من ظلمه، بل يظل يحقد عليه حتى يتمكن منه فينتقم لنفسه، فقد روى " أنّ فيّالا ضرب فيلا فأوجعه فألحّ عليه، وأنّهم عند ذلك نهوه وخوّفوه وقالوا: لا تنم حيث ينالك؛ فإنه من الحيوان الذي يحقد ويطالب. ولمّا أراد ذلك السائس القائلة شدّه إلى أصل شجرة وأحكم وثاقه، ثم تنحّى عنه بمقدار ذراع ونام، ولذلك السائس جمّة. قال: فتناول الفيل بخرطومه غصنا كان مطروحا، فوطئ على طرفه حتى تشعّث، ثم أخذه بخرطومه، فوضع ذلك الطّرف على جمّة الهندي، ثم لواها بخرطومه، فلما ظنّ أنها قد تشبّكت به وانعقدت، جذب العود جذبة فإذا الهنديّ تحت قوائمه، فخبطه خبطة كانت نفسه فيها.

---

[1] الأمثال المولدة ، لمحمد بن العباس الخوارزمي، أبو بكر (المتوفى: ٣٨٣هـ) ،المجمع الثقافي، أبو ظبى ، ١٤٢٤ هـ ، ص ٥١ .

فإن كان الحديث حقّا في أصل مخرجه فكفاك بالفيل معرفة ومكيدة. وإن كان باطلا فإنهم لم ينحلوا الفيل هذه النّحلة دون غيره من الدوابّ إلّا وفيه عندهم ما يحتمل ذلك ويليق به " . [١]

وفى هذه القصة إشارة إلى سمة سلوكية تتصف بها بعض الفيلة، ألا وهى الانتقام والعداوة تجاه أفراد آخرين سواء كانوا بشرًا أو حيوانات أخرى، فالفيلة حيوانات ذكية تتمتع بقدر عالٍ من التفاهم والتعاطف، وعند تعرضها للإيذاء فإنها تنتهز الفرصة للبطش بعدوها والنيل منه .

نكتة : " حكى أَن رجلا حلف بِالطَّلَاق الثَّلَاث أَنه لَا بُد أَن يزن فيلا كَانَ قد قدم إِلَى الْبَصْرَة فعجز عَن وَزنه، فَسَأَلَ عليا عَن ذَلِك فَقَالَ أنزلوا الْفِيل إِلَى سفينة كَبِيرَة، وَعَلمُوا أَيْن يصل المَاء من جانبيها ثمَّ أخرجُوا الْفِيل واطرحوا فِي السَّفِينَة حِجَارَة حَتَّى يلْحق المَاء الْعَلامَة فَمَا كَانَ وزن الْحِجَارَة فَهُوَ وزن الْفِيل " . [٢]

قال أبو عثمان : " إذا أردت أن ترى من الفيل ما يضحك، وتراه في أسخف حالاته وأجهله فألق إليه جوزة، فإنّه يريد أن يأخذ بطرف خرطومه، فإذا دنا منها تنفّس، فإذا تنفّس طارت الجوزة من بين يديه، ثم يدنو ثانية ليأخذها فيتنفس أخرى، فتبعد عنه، فلا يزال ذلك دأبه " . [٣]

---

[١] الحيوان للجاحظ ،ج ٧ ،ص ١٣٥ .

وانظر : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، للقزوينى ، ص ٣٢٩ .

[٢] جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود لشمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، المنهاجي الأسيوطي ثم القاهري الشافعي (المتوفى: ٨٨٠هـ) ،تحقيق / مسعد عبد الحميد محمد السعدني ،دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ،الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م ،ج ٢ ص ١١١ .

[٣] الحيوان للجاحظ ،ج ٧، ص ١١١ .

ولا يفوتنى هنا أن أذكر قصة وردت عن الفيل فى كتاب كليلة ودمنة الذى ترجمه عبد الله بن المقفع وصاغه بأسلوبه الأدبى، ومعروف أن الحيوانات والطيور قد لعبت فيه دور الشخصيات الرئيسية، وكانت ترمز فى الأساس إلى شخصيات بشرية، وكانت قصصه تحتوى العديد من الحكم والمواعظ ، وهذه قصة مفادها أن العاقل قد يبلغ بالحيلة والدهاء ما لا يبلغ بالخيل والجنود :

" والمثل في ذلك أن قنبرةً اتخذت أدخيةً وباضت فيها على طريق الفيل؛ وكان للفيل مشرب يتردد إليه. فمر ذات يوم على عادته ليرد مورده فوطئ عش القنبرة؛ وهشم بيضها وقتل فراخها. فلما نظرت ما ساءها، علمت أن الذي نالها من الفيل لا من غيره. فطارت فوقعت على رأسه باكيةً؛ ثم قالت: أيها الملك لم هشمت بيضي وقتلت فراخي، وأنا في جوارك؟ أفعلت هذا استصغاراً منك لأمري واحتقاراً لشأني. قال: هو الذي حملني على ذلك. فتركته وانصرفت إلى جماعة الطير؛ فشكت إليها ما نالها من الفيل. فقلن لها وما عسى أن نبلغ منه ونحن الطيور؟ فقالت للعقاعق والغربان: أحب منكن أن تصرن معي إليه فتفقأن عينيه؛ فإني أحتال له بعد ذلك حيلةً أخرى. فأجبنها إلى ذلك، وذهبن إلى الفيل، ولم يزلن ينقرن عينيه حتى ذهبن بهما. وبقي لا يهتدي إلى طريق مطعمه ومشربه إلا ما يلقمه من موضعه. فلما علمت ذلك منه، جاءت إلى غدير فيه ضفادع كثير، فشكت إليها ما نالها من الفيل.

قالت الضفادع: ما حيلتنا نحن في عظم الفيل؟ وأين نبلغ منه. قالت: أحب منكن أن تصرن معي إلى وهدةٍ قريبةٍ منه، فتنقن فيها، وتضججن. فإنه إذا سمع أصواتكن لم يشك في الماء فيهوي فيها. فأجبنها إلى ذلك؛ واجتمعن في الهاوية، فسمع الفيل نقيق الضفادع، وقد أجهده العطش، فأقبل حتى وقع في الوهدة، فارتطم فيها. وجاءت القنبرة

ترفرف على رأسه؛ وقالت: أيها الطاغي المغتر بقوته المحتقر لأمري، كيف رأيت عظم حيلتي مع صغر جثتي عند عظم جثتك وصغر همتك؟ " [١]

وقال الغراب : " زعموا أن أرضاً من أراضي الفيلة تتابعت عليها السنون، وأجدبت، وقل ماؤها، وغارت عيونها، وذوى نبتها، ويبس شجرها، فأصاب الفيلة عطش شديد: فشكون ذلك إلى ملكهن، فأرسل الملك رسوله ورواده في طلب الماء، في كل ناحية. فرجع إليه بعض الرسل، فأخبره إني قد وجدت بمكان كذا عيناً يقال لها عين القمر، كثيرة الماء. فتوجه ملك الفيلة بأصحابه إلى تلك العين ليشرب منها هو وفيلته. وكانت العين في أرض للأرانب، فوطئن الأرانب في أجحارهن، فأهلكن منهن كثيراً، فاجتمعت الأرانب إلى ملكها فقلن له: قد علمت ما أصابنا من الفيلة فقال: ليحضرن منكن كل ذي رأي رأيه. فتقدمت أرنبٌ من الأرانب يقال لها فيروز. وكان الملك يعرفها بحسن الرأي والأدب، فقالت: إن رأى الملك أن يبعثني إلى الفيلة ويرسل معي أميناً، ليرى ويسمع ما أقول، ويرفعه إلى الملك، فقال لها الملك: أنت أمينة، ونرضى بقولك، فانطلقي إلى الفيلة، وبلغي عني ما تريدين. واعلمي أن الرسول برأيه وعقله، ولينه وفضله، يخبر عن عقل المرسل. فعليك باللين والرفق والحلم والتأني: فإن الرسول هو الذي يلين الصدور إذا رفق، ويخشن الصدور إذا خرق. ثم إن الأرنب انطلقت في ليلة قمراء، حتى انتهت إلى الفيلة، وكرهت أن تدنو منهن: مخافة أن يطأنها بأرجلهن، فيقتلنها، وإن كنّ غير متعمدات. ثم أشرفت على الجبل ونادت ملك الفيلة وقالت له: إن القمر أرسلني إليك، والرسول غير ملوم فيما يبلغ، وإن أغلظ في القول. قال ملك الفيلة: فما الرسالة؟ قالت: يقول لك: إن من عرف فضل قوته على الضعفاء، فاغتر بذلك في شأن الأقوياء، قياساً

---

[١] كليلة ودمنة،عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢ هـ)، المطبعة الأميرية ببولاق – القاهرة ، الطبعة السابعة عشرة ،١٩٣٧ م، ص ١٧ – ١٩ .

لهم على الضعفاء، كانت قوته وبالاً عليه. وأنت قد عرفت فضل قوتك على الدواب، فغرّك ذلك، فعمدت إلى العين التي تسمى باسمي، فشربت منها، وكدّرتها. فأرسلني إليك: فأنذرك ألا تعود إلى مثل ذلك. وإنك إن فعلت أُغشّ بصرك، وأتلف نفسك. وإن كنت في شكٍّ من رسالتي، فهلم إلى العين من ساعتك: فإني موافيك بها. فعجب ملك الفيلة من قول الأرنب، فانطلق إلى العين مع فيروز الرسول. فلما نظر إليها، رأى ضوء القمر فيها. فقالت له فيروز الرسول: خذ بخرطومك من الماء فاغسل به وجهك، واسجد للقمر. فأدخل الفيل خرطومه في الماء، فتحرك فخيل للفيل أن القمر ارتعد. فقال: ما شأن القمر ارتعد؟ أتراه غضب من إدخالي الخرطوم في الماء؟ قالت فيروز الأرنب: نعم. فسجد الفيل للقمر مرة أخرى، وتاب إليه مما صنع، وشرط ألا يعود إلى مثل ذلك هو ولا أحد من فيلته".[١]

ومن هذه القصة يمكن استنباط العديد من العبر واللفتات، فهى من زاوية تحذر من عاقبة إيذاء الجار ، ومن زاوية أخرى تحث على أخذ الحق بالحيلة والدهاء خاصة إن كان صاحب الحق ضعيف البنيان .

المبحث الخامس : الفيل فى أمثال العرب :

بداية تجدر الإشارة إلى أن استخدام رمزية الفيل فى الأمثال لم يقتصر على الثقافة العربية فحسب؛ ففى اللغة الإنجليزية مثلا يقال : Elephant in the room وهو مصطلح مجازى يرمز إلى الموضوع شديد الحساسية الذى يتجاهله الجميع، ولا يريد أحد ذكره ومناقشته، مع أنه واضح وضوح الشمس تجنبا لما يثيره فى النفوس من مشاعر مقلقة .

وقد تمحور وروده عند العرب حول فكرة الضخامة والثقل وندرة المشاهدة؛ فقد "روي أنه كان في مجلس الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى، جماعة يأخذون عنه

---

[١] كليلة ودمنة ، لابن المقفع ، ص ٢٠٧ – ٢٠٩ .

العلم، فقال قائل: قد حضر الفيل، فخرج أصحابه كلهم للنظر إليه إلا يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي، فإنه لم يخرج، فقال له مالك: لم لم تخرج لترى هذا الخلق العجيب فإنه لم يكن ببلادك؟ فقال: إنما جئت من بلدي لأنظر إليك، وأتعلم من هديك وعلمك، ولم أجيء لأنظر إلى الفيل. فأعجب به مالك رضي الله تعالى عنه، وسماه عاقل أهل الأندلس، ثم إن يحيى عاد إلى الأندلس، وانتهت إليه الرياسة بها " . [١]

ولذلك فقد ضرب العرب بالفيل مثلا لغرابة الخلق، فقالوا : " أعجب من خلق فيل". [٢]

وقد قيل فيمن يتستّر وهو مشهور: " فلان يركب الفيل، ويقول: لا تبصروني. [٣]

وضرب المثل بالفيل فى النهم الشديد فقيل : " آكل من الْفِيل وَمن النَّار " . [٤]

قال الشاعر:

ويأكل أكْلَ الفِيلِ من بَعْد شبْعـِهِ ويَشْرَبُ شُرْبَ الهِيمِ من بعد أن يَرْوَى [٥]

وقيل : " كَصَاحِبِ الفيلِ يَرْكَبُ بِدَانِقٍ وَيَنْزِلُ بِدِرْهَمٍ " . [٦]

وقيل : " يأكُلُ الفِيلَ وَيَغْتَصُّ بِالبَقَّةِ " [٧] ؛ لمن يدعى الحرج كذبا .

---

[١] **الحيوان للجاحظ ، ج ٢ ، ص ٣١٨ .**

[٢] **حياة الحيوان الكبرى لمحمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ، ج ٢ ،ص ٣١٨ .**

[٣] **المصدر السابق ، ص ٣٠١ .**

[٤] **جمهرة الأمثال، لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، دار الفكر – بيروت ،ج ١، ص ١٢ .**

[٥] **مجمع الأمثال لأبى الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ) المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد الناشر: دار المعرفة – بيروت، لبنان ،ج ١ ، ص ٣٨٩.**

[٦] **المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧١ .**

[٧] **المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٤٢٧ .**

وقيل : " أثقل من الفيل " . [1]

وكان الأعمش إذا حضر مجلسه ثقيل يقول :

فما الفيلُ تَحْمِلهُ ميتاً بأثقلَ من بعضِ جُلاَّسنا[2]

وقال شاعر:

أنت يا هذا ثقيل وثقيــل .. وثقيـــل

أنت في المنظر إنسا ن .. وفي الميزان فيل[3]

وقال عمارة بن عقيل يضرب المثل بقوّة الفيل:

إذا أتانا أمير لم يقل لهم هيدا وجالت بنا منه الأحابيل

وعضّ مجهودنا الأقصى وحمّله من المظالم ما لا يحمل الفيل [4]

وأنشد أبو عمرو الشيبانيّ لبعض المولّدين :

إذا تلاقى الفيول وازدحمت فكيف حال البعوض في الوسط ![5]

ومما قرأه الناس من الأمثال في شأن الفيل التي وجدوها في كتاب كليلة ودمنة.

---

[1] زهر الأكم في الأمثال والحكم ، الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (المتوفى: ١١٠٢هـ) ، المحقق: د محمد حجي، د محمد الأخضر ،الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب ، الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م ،ج ، ص ١١.

[2] العقد الفريد لأبى عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ) ،دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ ،ج ٢ ، ص ١٥٣ .

[3] حياة الحيوان الكبرى ، للدميرى ، ج ٢،ص ٣١٩ .

[4] الحيوان للجاحظ ، ج ٧ ، ص ١٠٥ .

[5] المصدر السابق ،ج ٧ ،ص ٥٦ .

" فمن ذلك قوله : «أفلا ترى أنّ الكلب يبصبص بذنبه مرارا حتى تلقى له الكسرة، وإنّ الفيل المغتلم ليعرف قوّته وفضله، فإذا قدّم إليه علفه مكرّما لم يأكل حتى يمسح ويتملّق» .

قال : «وقيل في أعماله ثلاثة لا يستطيعها أحد إلا بمعونة من ارتفاع همة، وعظيم خطر، منها عمل السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدوّ. وقالت العلماء في الرّجل الفاضل [الرشيد] : إنّه لا ينبغي أن يرى إلا في مكانين، ولا يليق به غيرهما إمّا مع الملوك مكرّما، وإمّا مع النّسّاك متبتّلا، كالفيل إنما بهاؤه وجماله في مكانين: إمّا في برّية وحشيّا ، وإما مركبا للملوك» .

قال : «وقد قيل في أشياء ثلاثة فضل ما بينها متفاوت: فضل المقاتل على المقاتل، وفضل الفيل على الفيل، وفضل العالم على العالم» . " [١]

ومن الأقوال المأثورة قول أبى سليمان : " الْقَلْبُ بِمَنْزِلَةِ الْمِرْآةِ إِذَا جُلِّيَتْ لَا يَمُرُّ شَيْءٌ مِنَ الذُّبَابِ إِلَى الْفِيلِ إِلَّا مُثِّلَ لَهَا " . [٢]

المبحث السادس : حكم أكل الفيل والانتفاع به :

وعن رأى الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بحكم أكل الفيل فقد " اختلف فى أكله على ثلاثة أقوال : التحريم والكراهة والإباحة " . [٣]

---

[١] **الحيوان للجاحظ ج ٧ ، ص ٥٧ – ٥٨ .**

[٢] **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانى ت ٤٣٠ هـ مطبعة السعادة ١٩٧٤ م ، ج ٩ ، ص ٢٧٨ .**

[٣] **تحبير المختصر وهو الشرح الوسط على مختصر خليل فى الفقه المالكى ، تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميرى ت ٨٠٣ هـ ،تحقيق : د. أحمد عبد الكريم نجيب – د. حافظ عبد الرحمن خير، مركز نجيبويه للمخطوطات وخطمة التراث ،الطبعة الأولى ٢٠١٣ م،ج ٢، ص٣٣٠ .**

" قال ابن قدامة فى (المغنى) : الفيل محرم ، قال أحمد : ليس هو من أطعمة المسلمين، وقال الحسن هو مسخ، وكرهه أبو حنيفة والشافعى، ورخص فى أكله الشعبى، ولذا نهى النبى ﷺ عن أكل كل ذى ناب من السباع وهو من أعظمها نابا؛ ولأنه مستخبث فيدخل فى عموم الآية المحرّمة للخبائث .

قال النووى فى (شرح المهذب) : الفيل حرام عندنا وعند أبى حنيفة، والكوفيين والحسن، وأباحه الشعبى وابن شهاب، ومالك فى رواية . وحجة الأولين أنه ذو ناب.[1]

فقد روى عن أبى ثعلبة رضى الله عنه : " أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل كل ذى ناب من السباع " . [2]

وقد غالى البعض فى ذكر سبب تحريمه " حتى قال بعض الفقهاء بحرمة أكل الفيل ونحوه بناء على احتمال أن أصله نسل آدمى" . [3]

وسكت عنه البعض فقد أخرج أبو الشيخ عن الشعبى : " أنه سئل عن لحم الفيل والأسد فتلا : قل "لا أَجِدُ فِيمَا أُوحِىَ إِلَىَّ" الآية " . [4]

---

[1] أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد الشنقيطى ت ١٣٩٣ هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٥ م ،ج ١ ، ص ٥٣٣ .

[2] صحيح البخارى ، ج ٧ ، ص ٩٦ .

[3] التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسى ت ١٣٩٣ هـ ، الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ م ،ج ١ ، ص ٥٤٥ .

[4] الدر المنثور للسيوطى ، دار الفكر – بيروت، ج ٣ ، ص ٣٧٤ .

وانظر : فتح القدير ، محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكانى ، ت ١٢٥٠ هـ ، دار ابن كثير، الطبعة الأولى،١٤١٤ هـ،ج ٢، ص ١٩٧ .

وأحله البعض فقد روى عن أشهب أنه قال : " لا بأس بأكل الفيل إذا ذُكى، وهو قول الشعبى، ومَنع منه الشافعى " . [١]

وقد احتج من أفتى بحل أكل الفيل بأنه " ليس سبعا ولا جاء فى تحريمه نص ، وقال تعالى : "هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا" [٢] وقال تعالى : "قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ" [٣] . [٤]

" وأما ريش الميتة وعظام الفيل ونحوه فهو طاهر عند أبى حنيفة، نجس عند مالك والشافعى، لا يدهن فيها ولا يمتشط، إلا أن مالكا قال : إذا ذكى الفيل فعظمه طاهر، والشافعى يقول : إن الذكاة لا تعمل فى السباع . وقال الليث وابن وهب : إن غلى العظم فى ماء سخن فطبخ جاز الادهان به ، والامتشاط " . [٥]

قال مالك : " يجوز الانتفاع بذلك، ولا ينتفع بقرنها (يقصد الميتة) وأظلافها وريشها وأنيابها؛ لأن فيها حياة إلا ناب الفيل المسمى العاج " . ([٦])

---

[١] الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر شمس الدين القرطبى ت ٦٧١ هـ تحقيق : أحمد البردونى وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة الثانية ،١٩٦٤ م، ج ٧ ،ص ١٢١ .

[٢] سورة البقرة، آية ٢٩ .

[٣] سورة الأنعام ،آية ١٤٥ .

[٤] المحلى بالآثار ،أبو محمد على بن أحمد بن حزم الأندلسى القرطبى ت ٤٥٦ هـ ، دار الفكر – بيروت، (دت) ج ٦ ،ص ٧٣ .

[٥] شرح صحيح البخارى لابن بطال أبى الحسن على بن خلف بن عبد الملك ت ٤٤٩ هـ تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد السعودية – الرياض ، الطبعة الثانية ٢٠٠٣ م،ج ١ ،ص ٣٥٠ .

[٦] التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) ،محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطار بن عاشور التونسى ت ١٣٩٣ هـ ،الدار التونسية للنشر – تونس ،١٩٨٤ م ،ج ٢،ص ١١٦ .

وقال الزهرى فى عظام الموتى نحو الفيل وغيره : أدركت ناسًا من سلف العلماء يمتشطون بها ويدهنون فيها، لا يرون فيه بأسا " . [1]

" وأما جلد الفيل فذكر فى "العيون" عن محمد أنه لا يطهر بالدباغ ، وروى عن أبى حنيفة وأبى يوسف أنه يطهر ، والله أعلم " . [2]

" وقال ربيعة : إنما ينتفع من عظم الفيل بالناب وحده؛ لأنه لا لحم عليه ولا دسم فيه، إنما هو كعود " . [3]

الخاتمة

يزخر التراث العربى بالعديد من الموضوعات الأدبية فى مجالات مختلفة لم تدرس بعد ، وقد اخترت أحد هذه الموضوعات التى تعد بابا كبيرا لم يطرقه الكثيرون لدراسة أبوابه المختلفة ؛ ألا وهو تناول الحيوانات من منظور أدبى فلسفى يدور فى فلك الوجدان العربى .

وقد وقع اختيارى على أحد تلك الحيوانات ألا وهو الفيل ؛ لتتبع مدى تواجده فى الأدب العربى متمثلا فى أشعار العرب وأمثالهم والأساطير والأقاصيص الشعبية التى تناولته، وكان فيها بطلا رئيسا .

---

[1] مختصر صحيح الإمام البخارى، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألبانى ت ١٤٢٠ هـ ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض ،الطبعة الأولى،٢٠٠٢ م ، ج ١ ، ص ٩٤ .

[2] نخب الأفكار فى تنقيح مبانى الأخبار فى شرح معانى الآثار ،أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى العينى ت ٨٥٥ هـ ،تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ،وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – قطر، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م ، ج ٧ ، ص ١٧٤ .

[3] المنتقى شرح الموطأ ، أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد القرطبى الباجى الأندلسى ت ٤٧٤هـ مطبعة السعادة الطبعة الأولى ، ١٣٣٢ هـ ، ج ٣ ، ص ١٣٦ .

أهم نتائج البحث :

خرجت من هذه الدراسة ببعض النتائج التى يمكن إجمالها فى النقاط الآتية :

- تفاعل الإنسان العربى منذ القدم مع الطبيعة من حوله بما فيها الحيوانات، مما عمق العلاقة بينهما سواء كانت علاقة استغلال أو رفقة أو تأثير متبادل.
- استخدم الأدب تمثيل الحيوانات؛ حيث عد الحيوان مصدرًا للإلهام والتعبير ووسيلة لإثراء الخيال الإبداعى، فوجود الحيوانات فى الأدب يعد أحد مصادر المتعة والترفيه.
- استخدم الفيل رمزًا فى كثير من القصص والنوادر الشعبية، وكان وسيلة لنقل رسائل أخلاقية وقيمية متعددة .
- ورد ذكر الفيل فى القصص الدينى مبينًا مدى جبروت الإنسان وطغيانه، فى مقابل إنسانية الحيوان؛ كما فى قصة فيل أبرهة الحبشى .

أهم توصيات البحث :

استمرار الدراسات والأبحاث التى تعنى بهذا الجانب من الأدب العربى ألا وهو (الحيوان فى الوجدان العربى) فما زال الأدب العربى زاخرًا بالكثير من الموضوعات التى تنتظر إبرازها ودراستها وإخراجها للنور .

وأخيرًا .. بعد أن تقدمت باليسير فى هذا المجال الواسع، لا يسعنى إلا أن أحمد الله تعالى على ما وفق وأعان؛ فما هذا إلا جهد المقل .. لا أدعى فيه الكمال، ولكن عذرى أننى بذلت فيه قصارى جهدى، فإن أصبت .. فذاك مرادى، آملة أن ينال القبول ويلقى الاستحسان، وإن أخطأت .. فلى شرف المحاولة والتعلم .

فإن أصبتُ فلا عُجْبٌ ولا غَرَرُ وإن نقصتُ فإن الناسَ ما كملوا

والكاملُ اللهُ في ذاتٍ وفي صفةٍ وناقصُ الذاتِ لم يكملْ لهُ عملُ

وصل اللهم على سيدنا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

– الأحاديث الضعيفة والموضوعة التى حكم عليها الحافظ ابن كثير فى تفسيره لأبى عبد الرحمن محمود بن محمد الملاح، الناشر : مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة – المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ٢٠١٠ م .

– الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة ت ١٤٠٣ هـ،مكتبة السنة ، الطبعة الرابعة .

– أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد الشنقيطى ت ١٣٩٣ هـ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ،١٩٩٥ م .

– الأمثال المولدة ،لمحمد بن العباس الخوارزمي، أبو بكر (المتوفى: ٣٨٣هـ) ،المجمع الثقافي، أبو ظبى ،١٤٢٤ هـ .

– تحبير المختصر وهو الشرح الوسط على مختصر خليل فى الفقه المالكى،تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميرى ت ٨٠٣ هـ ، تحقيق : د. أحمد عبد الكريم نجيب – د. حافظ عبد الرحمن خير ،مركز نجيبويه للمخطوطات وخطمة التراث الطبعة الأولى ٢٠١٣ .

– التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطار بن عاشور التونسى ت ١٣٩٣ هـ الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤ م .

– تحفة الحبيب على شرح الخطيب = حاشية البجيرمى على الخطيب لسليمان بن محمد بن عمر البجيبرمى المصرى الشافعى (المتوفى : ١٢٢١ هـ) ،دار الفكر ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م .

– تفسير الأحلام = منتخب الكلام في تفسير الأحلام (مطبوع بهامش تعطير الأنام في تعبير المنام للنابلسي) لمحمد بن سيرين (المتوفى: ١١٠هـ) – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاد – ١٣٥٩ – ١٩٤٠ م .

– التفسير البسيط ، أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الواحدى النيسابورى الشافعى ت ٤٦٨ هـ ،تم تحقيقه فى عدة رسائل دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الناشر : عمادة البحث العلمى ، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـ .

– تفسير البغوى (معالم التنزيل فى تفسير القرآن) ،لأبى محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوى الشافعى ت ٥١٠ هـ تحقيق : عبد الرزاق المهدى ،دار إحياء التراث العربى – بيروت، الطبعة ، هـ .

– تفسير الطبرى (جامع البيان عن تأويل آى القرآن) لمحمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبرى ت ٣١٠ هـ ،تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركى، دار هجر للطباعة والنشر ،الطبعة الأولى ٢٠٠١ م .

– تفسير القرآن العظيم ،لأبى الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ت ٧٧٤ هـ،تحقيق : سامى بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية ، ١٩٩٩ م .

– التفسير المظهرى لمحمد ثناء الله المظهرى ، تحقيق : غلام نبى التونسى، طبعة عام ١٤١٢ هـ ، مكتبة الرشدية – باكستان .

– تفسير مقاتل بن سليمان ،أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الزدى البلخى ت ١٥٠ هـ المحقق : عبد الله محمود شحاتة دار إحياء التراث – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ .

– التمثيل والمحاضرة ،عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبى ت ٤٢٩ هـ تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ،الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م.

– الجامع الكبير، جلال الدين السيوطى ت ٩١١ هـ ،تحقيق : مختار إبراهيم الهائج – عبد الحميد محمد ندا – حسن عيسى عبد الظاهر، الناشر : الأزهر الشريف الطبعة الثانية،٢٠٠٥ م .

– الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى الخزرجى شمس الدين القرطبى (المتوفى ٦٧١هـ) تحقيق / أحمد البردونى وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م .

– جمهرة الأمثال، لأبى هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) دار الفكر – بيروت .

– جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود لشمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، المنهاجي الأسيوطي ثم القاهري الشافعي (المتوفى: ٨٨٠هـ) تحقيق / مسعد عبد الحميد محمد السعدني، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .

– حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهانى ت ٤٣٠ هـ مطبعة السعادة ١٩٧٤ م .

- حياة الحيوان الكبرى ،محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء، كمال الدين الشافعي (المتوفى: ٨٠٨هـ) ،دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ .

- الحيوان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى٢٥٥هـ) – دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ.

- الحيوان فى الأدب العربى ،شاكر هادى شكر ،الطبعة الأولى ١٩٨٥ م بيروت– المزرعة .

- درج الدرر فى تفسير الآى والسور أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجانى ت ٤٧١ هـ تحقيق : وليد بن أحمد بن صالح الحسين (وشاركه فى بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسى مجلة الحكمة – بريطانيا الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م.

- الدر المنثور،عبد الرحمن بن أبى بكر جلال الدين السيوطى، ت ٩١١ هـ ،دار الفكر – بيروت .

- ديوان ابن الرومى ، شرح أحمد حسن بسج،دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الثالثة ٢٠٠٢ م .

- ديوان أبى حيان الأندلسى ، تحقيق د. أحمد مطلوب – د. خديجة الحديثى الطبعة الأولى مطبعة العانى – بغداد ١٩٦٩ م .

- ديوان البحترى ، تحقيق / حسن كامل الصيرفى ، دار المعارف ،١٩٧٨ م .

- روح البيان ، إسماعيل حقى بن مصطفى الإستانبولى أبو الفداء ت ١١٢٧ هـ دار الفكر – بيروت .

– الروض المعطار في خبر الأقطار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى ت ٩٠٠ هـ تحقبق : إحسان عباس ، مؤسسة ناصر للثقافة – بيروت الطبعة الثانية ١٩٨٠ م .

– زاد المسير فى علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن على الجوزى ت ٥٩٧ هـ تحقيق : عبد الرازق المهدى ،دار الكتاب العربى – بيروت ،الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ .

– زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (المتوفى: ١١٠٢هـ)،المحقق: د محمد حجي، د محمد الأخضر ،الشركة الجديدة – دار الثقافة، الدار البيضاء – المغرب ،الطبعة: الأولى، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م .

– شرح صحيح البخارى لابن بطال أبى الحسن على بن خلف بن عبد الملك ت ٤٤٩ هـ تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم مكتبة الرشد السعودية – الرياض الطبعة الثانية ٢٠٠٣ م .

– الشيعة وأهل البيت ، إحسان إلهى ظهير الباكستانى ت ١٤٠٧ هـ الناشر : إدارة ترجمان السنة ، لاهور – باكستان .

– صحيح البخارى ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى الجعفى ، تحقيق / محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ .

– عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات ، لزكريا بن محمد بن محمود الكوفى القزوينى، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م .

– عرائس المجالس، لأبى إسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى الثعلبى ت ٤٢٧ هـ ،مكتبة الجمهورية العربية .

– العقد الفريد،لأبى عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ .

– فتح القدير، محمد بن على بن محمد بن عبد الله الشوكانى ت ١٢٥٠ هـ ، دار ابن كثير ، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ .

– الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية لعبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادى التميمى الأسفراييني أبو منصور (المتوفى ٤٢٩ هـ) دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م .

– كليلة ودمنة عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢ هـ) المطبعة الأميرية ببولاق – القاهرة الطبعة السابعة عشرة ١٩٣٧ م .

– لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ،دار صادر – بيروت ،الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

– مجمع الأمثال لأبى الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ) ، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد ،الناشر: دار المعرفة – بيروت، لبنان .

– محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمى ت ١٣٣٢ هـ المحقق : محمد باسل عيون السود دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ .

– المحكم والمحيط الأعظم ، أبو الحسن على بن إسماعيل بن سيده ت ٤٥٨ هـ تحقيق / عبد الحميد هنداوى ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ٢٠٠٠ م .

– المحلى بالآثار ،أبو محمد على بن أحمد بن حزم الأندلسى القرطبى ت ٤٥٦هـ دار الفكر – بيروت (دت) .

– مختصر صحيح الإمام البخارى ،أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألبانى ت ١٤٢٠ هـ ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض الطبعة الأولى ٢٠٠٢ م.

– مسالك الأبصار في ممالك الأمصار أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين ت ٧٤٩ هـ المجمع الثقافي، أبو ظبي ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .

– المسالك والممالك أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى الأندلسى ت ٤٨٧ هـ ،دار الغرب الإسلامى ،١٩٩٢ م .

– المستدرك على الصحيحين لأبى عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبى الطهمانى النيسابورى المعروف بابن البيع (المتوفى ٤٠٥ هـ) تحقيق / مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤١١ هـ – ١٩٩٠م .

– المصنف، لأبى بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميرى اليمانى الصنعانى ت ٢١١ هـ ، تحقيق / حبيب الرحمن الأعظمى،الناشر : المجلس العلمى – الهند يطلب من : المكتب الإسلامى – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ .

– مناظرة بين الإسلام والنصرانية ، لمناقشة العقيدة الدينية بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية ، مثل الجانب الإسلامى فى المناظرة كل من الشيخ الدكتور محمد جميل غازى والأستاذ إبراهيم خليل أحمد واللواء المهندس أحمد عبد الوهاب الناشر : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد – الرياض – المملكة العربية السعودية – الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م .

– المنتقى شرح الموطأ أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد القرطبى الباجى الأندلسى ت ٤٧٤ هـ مطبعة السعادة الطبعة الأولى ١٣٣٢ هـ .

– موسوعة تفسير الأحلام لجوستاف هيندمان ميلر (المتوفى: ١٣٤٧هـ) ترجمة: هدى موسى الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

– نخب الأفكار فى تنقيح مبانى الأخبار فى شرح معانى الآثار، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى العينى ت ٨٥٥ هـ تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – قطر ،الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م .

– نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي ت ٥٦٠ هـ ، عالم الكتب – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .

– نهاية الأرب فى فنون الأدب أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ) دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ١٤٢٣ هـ .

– الهداية إلى بلوغ النهاية فى علم معانى القرآن وتفسيره وإحكامه وجمل من فنون علومه لأبى محمد مكى بن أبى طالب حموش بن محمد بن مختار القيسى القيروانى ثم الأندلسى القرطبى المالكى ت ٤٣٧ هـ ، المحقق / مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمى – جامعة الشارقة بإشراف أ.د. الشاهد البوشيخى الطبعة الأولى ٢٠٠٨ م .

– الوسيط فى تفسير القرآن المجيد ، أبو الحسن على بن أحمد بن محمد بن على الواحدى النيسابورى الشافعى ت ٤٦٨ هـ ، تحقيق وتعليق / عادل أحمد عبد الموجود – على محمد معوض – د. أحمد محمد صيرة – د. أحمد عبد الغنى الجمل – د. عبد الرحمن عويس ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٤ م .

– الوسيط فى علوم ومصطلح الحديث ، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبة ت ١٤٠٣ هـ ،دار الفكر العربى .

The Elephant in the Arab conscience

Dr. Dorriya Mohammed Maghraby Mohammed Makki

Abstract :

This research deals with a topic entitled "The Elephant in the Arab Conscience", which monitors the relationship between man and one of the huge animals that the Arab man saw and was fascinated by and many ideas, beliefs and myths were made.

The books of the Arab heritage included a significant amount of ideas and narration which reflected the image of the elephant, so the preamble includes several points about the definition of the elephant and what distinguishes it and its importance among other nations. Then the research moves to introduce multiple issues about the elephant in Arabic literature, the first of which came about the elephant in Arab mythology reflecting ideas and narratin that gave miraculous pattern which does not represent the truth, but was rooted in the minds of the Arabs and their conscience.

Hence, I moved to the next issue, which is about the mention of the elephant in the Arabic poetry, which is a good amount that I was able to collect from the heritage books, which mentioned the elephant directly or referred to it while discussing other issues.

Then I dealt with the place of the elephant in the world of dreams and its various interpretations reported by dreams interpreters. Then I moved to the anecdotes and folk tales in which the elephant was mentioned, and then the Arab proverbs that used the elephant in all these topics which was dealt in the framework of certain angles – most often – focused on its huge body, weight, insatiability and strength.

Finally, I discussed the issue of eating it in Islamic law and the use of its tusks, bones, leather, etc.

Keywords: elephant - heritage - animal - legend - folk tales.